الإسلام كما أنزل https://alislamkamaounzil.com

منزلة الولاء والبراء في الإسلام

كتبه غريب الديار بتاريخ الأحد١٥ شعبان ١٤٤٢

دوما ما نسمع مصطلح الولاء والبراء, فما هو الولاء والبراء لغة واصطلاحا؟

وما هي منزلته في الإسلام بمعنى هل يدخل في الإيمان, أم في الشريعة؟

هذا ما سوف نعرفه إن شاء الله من خلال:

- معنى الولاء والبراء في اللغة
- معنى الولاء والبراء في في القرآن
- منزلة الولاء والبراء في الإسلام
- لمن ولاءنا؟
  - الولاء للتراث
  - الولاء للوطن
- المراجع

معنى الولاء والبراء في اللغة

الولاء والبراء في اللغة نظيرين, بمعنى أننا إذا عرفنا الولاء سوف نعرف تلقائيا البراء, الذي هو عكسه, إذاً سوف نعرف معنى الولاء أولا

قال الفراهيدي[1]

ولي: الولاية: مصدر الموالاة, والولاية مصدر الوالي.

والولاء: مصدر المولى.

والموالي: بنو العم.

والموالي من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يحرم عليه الصدقة.

والمولى: المعتق والحليف والولي.

والولي: ولي النعم.

والموالاة: اتخاذ المولى, والموالاة أيضا: أن يوالي بين رميتين أو فعلين في الأشياء كلها. وتقول: أصبته بثلاثة أسهم ولاء.

قال صاحب الجوهري[٢]

الولي: القرب والدنو. يقال: تباعد بعد ولى. و " كل مما يليك ", أي مما يقاربك. وقال:

وعدت عواد دون وليك تشعب

يقال منه: وليه يليه بالكسر فيهما, وهو شاذ.

وأوليته الشئ فوليه.

وكذلك ولي الوالي البلد, وولي الرجل البيع, ولاية فيهما.

وأوليته معروفا.

ويقال في التعجب: ما أولاه للمعروف, وهو شاذ.

وتقول: فلان ولي وولي عليه, كما يقال: ساس وسيس عليه.

وولاه الأمير عمل كذا, وولاه بيع الشئ.

وتولى العمل, أي تقلد. وتولى عنه, أي أعرض. وولى هار با, أي أدبر.

وقوله تعالى: (ولكل وجهة هو موليها) أي مستقبلها بوجهه.

والولي: المطر بعد الوسمي, سمي وليا لأنه يلي الوسمي. وكذلك الولى (بالتسكين) على فعل وفعيل, والجمع أولية. يقال منه: وليت الارض وليا.

والولى: ضد العدو. يقال منه: تولاه.

والمولى: المعتق, والمعتق, وابن العم, والناصر, والجار.

والولي: الصهر, وكل من ولي أمر واحد فهو وليه.

وقول الشاعر:

هم المولى وإن جنفوا علينا * وإنا من لقائهم لزور

قال أبو عبيدة: يعنى الموالى أي بنى العم.

ويقال: بينهما ولاء بالفتح، أي قرابة.

والولاء: ولاء المعتق.

وفي الحديث: " نهى عن بيع الولاء وعن هبته".

والولاء: الموالون. يقال: هم ولاء فلان.

والموالاة: ضد المعاداة.

ويقال: والى بينهما ولاء، أي تابع.

وافعل هذه الأشياء على الولاء، أي متتابعة.

وتوالى عليه شهران، أي تتابع.

واستولى على الأمد، أي بلغ الغاية.

والولاية بالكسر: السلطان.

والولاية: النصرة.

يقال: هم على ولاية، أي مجتمعون في النصرة.

وقال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر، والولاية بالكسر الاسم مثل الامارة والنقابة، لانه اسم لما توليته وقمت به. فإذا أرادوا المصدر فتحوا.

عند فحص ما سبق يظهر أن الولاء علاقة تربط بين الأولياء تقوم على التقارب بينهم والترابط إما برابطة الدم، كأبناء العمومة، أو برابطة العتق والتحالف كالموالي، أو النصرة والمؤازرة.

بمعنى أن الولاء هو نوع من الترابط الإيجابي بين المتوالين

البراء عكس الولاء أي أنه إنعدام الصلة بين المتبرئ والمتبرأ منه، فلا علاقة إيجابية تربطهما، ومنه براءة الشخص مما ينسب إليه من تهم أي انعدام الصلة بينه وبين ما

نسب إليه, وقد فصلت في كيفية البراءة من المشركين في مقال مستقل يمكن الرجوع إليه

معنى الولاء والبراء في القرآن

في القرآن ورد الولاء والبراء في آيات كثيرة بعضها يبرز ماهية الولاء مثل قول الحق سبحانه:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّخِذوا عَدُوّي وَعَدُوَّكُم أَولِياءَ تُلقونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ وَقَد كَفَروا بِما جاءَكُم مِنَ الحَقِّ يُخرِجونَ الرَّسولَ وَإِيّاكُم أَن تُؤمِنوا بِاللَّهِ رَبِّكُم إِن كُنتُم خَرَجتُم جِهادًا في سَبيلي وَابتِغاءَ مَرضاتي تُسِرّونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ وَأَنا أَعلَمُ بِما أَخفَيتُم وَما أَعلَنتُم وَمَن يَفعَلهُ مِنكُم فَقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ ﴾[٣]

حيث أن الولاية في هذه الآية تعني المودة والمناصرة.

فالولاء إذاً في القرآن له نفس المعنى في اللغة وهو علاقة إيجابية تقوم على المودة بين الأولياء.

البراء أيضا في القرآن له نفس المعنى في اللغة أي انقطاع الصلة بين المتبرئ والمتبرأ منه مثال ذلك قوله سبحانه:

﴿ فَإِن عَصَوكَ فَقُل إِنّي بَريءٌ مِمّا تَعمَلونَ ﴾[٤]

أي لا علاقة لي بما تعملون فقد عصيتموني ولم تعملوا ما عملتم بأمري.

منزلة الولاء والبراء في الإسلام

في الإسلام يعتبر الولاء انتماء, فمن تولى قوما فهو منهم, وهنا تكمن خطورته فهو متعلق بصلب الإيمان حيث أنه شرط من شروط الإسلام كما سنرى

في الإسلام تنقسم الهوية التي هي محل الانتماء إلى هويتين لا ثالث لهما, وهما إيمان وكفر, وذلك لقوله سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذي خَلَقَكُم فَمِنكُم كافِرٌ وَمِنكُم مُؤمِنٌ وَاللَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصيرٌ ﴾[٥]

فالمرء إما أن ينتمي لفسطاط الإيمان بالولاء للمؤمنين، أو ينتمي لفسطاط الكفر بالولاء للكافرين، ولا احتمال ثالث.

من أدلة ما سبق قول الحق سبحانه:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّخِذُوا اليَهودَ وَالنَّصارى أَولِياءَ بَعضُهُم أَولِياءُ بَعضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَإِنَّهُ مِنهُم إِنَّ اللَّهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ ﴾[6]

فمن يتولهم فهو منهم فعلا عند الله عز وجل، فالولاء انتماء كامل عند الله عز وجل.

نفس المعنى يتأكد في اشتراط عدم موالاة الكفار في الإيمان في قوله سبحانه:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّخِذُوا الَّذينَ اتَّخَذوا دينَكُم هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذينَ أوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم وَالكُفّارَ أَولِياءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ ﴾[7]

فلا يمكن أن يكون المرء مؤمنا وهو يتولى الكافرين.

في المقابل نجد أن المؤمن لا يكون مؤمنا حتى يتولى الله ورسوله والذين آمنوا في قوله سبحانه:

﴿ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤتونَ الزَّكاةَ وَهُم راكِعونَ۝وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسولَهُ وَالَّذينَ آمَنوا فَإِنَّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ الغالِبونَ ﴾[8]

فلا بد للمرء من الانتماء لفسطاط الإيمان بالولاء للمؤمنين ليكون من المؤمنين.

إن الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين لا يمكن أن تتم إلا بالإعلان الصريح للكفار البراءة منهم والتوكيد عليها كما قال ربنا آمرا لنا:

﴿ قُل يا أَيُّهَا الكافِرونَ۝لا أَعبُدُ ما تَعبُدونَ۝وَلا أَنتُم عابِدونَ ما أَعبُدُ۝وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدتُم۝وَلا أَنتُم عابِدونَ ما أَعبُدُ۝لَكُم دينُكُم وَلِيَ دينِ ﴾[9]

وكما قال أبونا إبراهيم صلى الله عليه وسلم لقومه وهو يعلن التوحيد:

﴿ فَلَمّا رَأَى الشَّمسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبّي هذا أَكبَرُ فَلَمّا أَفَلَت قالَ يا قَومِ إِنّي بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ۝إِنّي وَجَّهتُ وَجهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرضَ حَنيفًا وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ ﴾[10]

فأعلن البراءة من الشرك والمشركين ثلاث مرات, وأعلن التوجه لله مرة واحدة, ليعلم أن التوحيد يقوم على البراءة من الشرك والمشركين أولا والإيمان بالله ثانيا, كما ورد في قوله سبحانه:

﴿ لا إِكراهَ فِي الدّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكفُر بِالطّاغوتِ وَيُؤمِن بِاللَّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقى لَا انفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ ﴾"

فلا إيمان إذاً من غير الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين, والأدلة على ذلك كثيرة جدا يصعب حصرها في مقال واحد.

لمن ولاءنا؟

لقد رأينا فيما سبق أن الولاء للمؤمنين شرط في الإيمان, ولذلك من الضروري أن نعرف وبصدق لمن ولاؤنا الآن, فإن كان لله ولرسوله وللمؤمنين نحمد الله على ذلك, وإن كان لغير الله ورسوله والمؤمنين نبادر بالإلتحاق بفسطاط الإيمان قبل فوات الأوان.

في الواقع عند الحديث بصدق عن الولاء والبراء, نجد مفهوم الإيمان غائبا عمليا, فالدين عند أغلبنا لا يعدوا كونه هوية وجزء من التراث الذي ورثناه, منحصر في مجموعة شعائر لا علاقة كبيرة له بمسألة الانتماء, لذلك نجد نوعين من الولاء

الولاء للتراث

إننا نوالي في أغلب الأحيان على أساس التراث, فنحن تراثيون أكثر من كوننا مسلمين, بمعنى أننا مسلمون بحسب ما ندعي طاعة للتراث وليس قناعة برسالة الإسلام في المقام الأول, فأغلبنا على ما يسميه الإسلام نظرا لكونه ورثه من آباءه.

ومن ثم فإنه من الطبيعي أن يكون ولاءنا للتراث أكثر من أي شيء آخر, وهذا يتجلى في الانتماء للأسرة بغض النظر عن دين أفرادها, وللقبيلة أو العرق كما هو ملاحظ في أغلب دول العالم.

الولاء للوطن

لأسباب عدة سعت الدول الحديثة إلى تكريس مفهوم المواطنة بين رعاياها وجعل الوطن الإله الأعظم للرعية بحيث يكون الانتماء إليه هو العامل الأهم في التعامل بين الناس.

وعليه ينقسم الناس إلى هويتين بحسب انتماءهم للوطن, مواطن وأجنبي.

المواطن أخو المواطن ولهم نفس الحقوق والواجبات, التي يقرونها لبعضهم البعض.

في المقابل الأجنبي ليست له تلك الحقوق ولا يتمتع بالأخوة التي يتمتع بها المواطن, فهو ليس منا ولسنا منه.

وهكذا استبدل الولاء والبراء على أساس الإيمان عندنا إلى الولاء والبراء على أساس الوطن.

المراجع

١ – العين المجلد ٨ الصفحة ٣٦٥.

٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المجلد ٦ الصفحة ٢٥٢٨-٢٥٣٠ بتصرف يسير.

٣- الممتحنة: ١

٤- الشعراء: ٢١٦

٥- التغابن: ٢

٦- المائدة: ٥١

٧- المائدة: ٥٧

٨- المائدة: ٥٥-٥٦

٩- الكافرون: ١-٦

١٠- الأنعام: ٧٨-٧٩

١١- البقرة: ٢٥٦.